

## إبراهيم بك المويلحي

١٨٤٤ - ١٩٠٦

بقلم حفيده إبراهيم المويلحي

—»»««—



السيد إبراهيم  
المويلحي بن السيد  
عبد الخالق بن السيد  
إبراهيم بن السيد أحمد  
ابن السيد الشريف  
مصطفى وكيل المويلح.  
ينتهي نسبه إلى الحسين  
من جهة أبيه ، وإلى  
الحسن من جهة أمه  
فأُسرة المويلحي

يمتد نسبها إذن إلى الصادق « محمد صلى الله عليه وسلم » وإلى  
الصديق « أبي بكر » . وهذا النسب ثابت ثبوتاً قضائياً يرجع إلى  
أحكام شرعية مصرية ، لا إلى مجرد « الثبوت الإداري » المعروف  
في مصر

والمويلحي نسبة إلى المويلح « بلدة في جزيرة العرب على  
شاطيء البحر الأحمر كانت تابعة لمصر في عهد « علي بك الكبير »  
حتى سنة ١٨٩٢ ميلادية ، ثم ضمت إلى ولاية الحجاز  
وقد انقسمت هذه الأسرة قسمين أحدهما في مصر والآخر  
في المويلح

وأول من وفد إلى مصر من المويلحيين السيد أحمد المويلحي  
بعد خدمة أداها لمحمد علي باشا الكبير في تسكين فتنة الوهابيين  
ثم أقام بها ، وأسس بيتاً تجارياً بجهة التريمة بالقاهرة  
ورزق السيد أحمد المويلحي بالسيد إبراهيم المويلحي جد  
صاحب هذه الترجمة ، فشب على حب الأدب وأولع به . وكان  
لا يخلو مجلسه من الأدباء والشعراء بطارحهم وبذاكرهم ، فكانت

السنة الوجهاء تلهج بذكر أدبه وشعره ، حتى بلغ أمره « حبيب  
أفندي » فكما المنفور له « محمد علي باشا » فجعله كاتبه  
واقف أدى إبراهيم خدمة جليلة لوالى مصر « محمد علي »  
فحفظها له البيت الخديوى ، فانتفع بها المترجم له في حالة عمره كما  
سيبين لك فيما بعد

ورزق السيد إبراهيم بالسيد عبد الخالق الذي انتحى ناحية  
الاشتغال بالتجارة فشب على حبها وأفرد همه فيها ، فذاعت شهرته  
بصناعة نسج الحرير التي كانت رائجة بمصر في ذلك الوقت فجمع  
ثروة طائلة

ثم أنجب ولدين هما « إبراهيم » صاحب هذه الترجمة ،  
و « عبد السلام » واستقر رأيهم على أن يعمل من إبراهيم رجلاً  
تجارياً . فبعد تعليمه العلوم الابتدائية في البيت ، أخذ يوجهه  
نحو الاشتغال بالتجارة ، وأبقاه في محله التجارى وأرسل أخاه  
« عبد السلام » إلى الأزهر ليكون عالماً . ولكن شاءت  
إرادة الله أن يكون إبراهيم هو العالم والأديب ، وأن يتفرغ  
عبد السلام فيما بعد للتجارة ومزاوتها ، فنهض فيها نهضة إبراهيم  
في العلم والأدب

فكان إبراهيم مولماً بالأدب والشعر منذ حداثة سنه ، وقد  
ورث ذلك عن جده إبراهيم ، ومن حسن حظّه أن كان بجوار  
محله التجارى عطار لم يحضرنى اسمه كان من العلماء الأعلام  
الذين لم تنفاب عليهم التجارة فتفسيهم العلم ، فتعلم عليه إبراهيم  
بغير علم من والده ، فدرس عليه علوم الأدب والبلاغة والنحو  
والمروض حتى نبع فيها

ومن نوادر ما يروى عن رغبته في العلم والتحايل على الحصول  
عليه أنه كان معه بواب للمحل يدعى « علي الأشموني » فكان  
يتفق معه على أن يقف على ناصية الطريق حتى إذا ما رأى والده  
السيد عبد الخالق مقبلاً نحو متجره راكباً مطيته يهرع إلى  
السيد إبراهيم المنشغل بدروسه ليقطع عليه لذة الدرس وينبهه إلى  
حضور والده السيد عبد الخالق ، فيذهب إلى المتجر متظاهراً  
بمداومة العمل

وما كان يخطر له ولا لوالده أنه سيجعل الأدب مهنته ، وهي

يومئذ مهنة الفقراء ، ولكن الأقدار ساقته إلى الاشتغال بها .  
فكان من أعظم نوابها

وظل إبراهيم في حجر والده آمناً سعيداً حتى توفي الوالد  
سنة ١٢٨٢ هجرية ( ١٨٦٥ ميلادية ) فتولى هو تجارة أبيه  
وقبض على ثروته التي تبلغ ثمانين ألفاً من الجنيهات ، وجرى على  
خطته في العمل حيناً فازداد تقدماً وصار عضواً في مجلس التجار  
وعضواً في مجلس مصر الابتدائي

ولا يفوت القارئ أن كل هذه المشاغل لم تحل دون ميله  
للأدب والشعر إذ كانت هذه الملكة تنمو فيه شيئاً فشيئاً بين  
مشاغل السياسة والإدارة والتجارة ، فاتفق مع المرحوم « عارف  
باشا » أحد أعضاء مجلس الأحكام وصاحب المآثر الكبرى في  
نشر الكتب على تأسيس « جمعية المعارف » وكان جل همها  
نشر الكتب النافعة وتسهيل اقتنائها ، ثم أنشأ « إبراهيم بك »  
مطبعة باسمه سنة ١٢٨٥ هجرية ( ١٨٦٨ ميلادية ) لتطبع تلك  
الكتب ، ونمد من أقدم المطابع المصرية ، وكانت كثرة العمل  
فيها تدفع الجمعية إلى طبع جزء من كتبها في بعض الأحيان  
بمطابع أخرى ولا سيما « المطبعة الوهبية »

ولا شك في أن هذه الجمعية كانت صاحبة اليد الطولى في  
نشر كثير من الكتب القيمة ككتاب « تاج العروس »  
و « أسد الغابة » و « رسائل بديع الزمان » و « سلوك المالك »  
و « ألف با » و « غاورات الأدباء والشعراء والبلغاء » وغيرها  
مما جعل لهذه الجمعية شأنًا كبيراً في تاريخ النهضة الأدبية  
الحديثة

أما صاحب الترجمة ففي السنة الثانية من إنشاء مطبعته اتحد  
مع « محمد عثمان جلال بك » لإصدار جريدة عربية سماها « نزهة  
الأفكار » ولم يكن من الصحف العربية يومئذ بمصر إلا « جريدة  
وادي النيل » و « الجريدة الرسمية »

ولسوء الحظ لم يصدر منها إلا عددان ، ثم أظهر المرحوم  
« شاهين باشا » للخديو إسماعيل مخوفه مما سوف تثيره مقالاتها  
من الأفكار وتولده من الفتن ، فأصدر الخديو أمراً بالنائها . وظلت  
المطبعة على ما هي عليه من طبع الكتب الأدبية والتاريخية

والفقهية لجمعية المعارف ، كما كان يطبع المترجم كتباً على نفقته  
الخاصة

وكانت مضاربات البورصة حديثة العهد بمصر ، وقد تشدق  
الناس بمعجزاتها في سرعة الإثراء . ولما كان إبراهيم طالباً  
للعلا لم يكتف بما عنده من الرزق الواسع وحدثته نفسه بطلب  
المزيد ، فاندمج في صف المضاربين ، برح تارة فيقطع في المزيد ،  
ويخسر أخرى فيطلب التمويض . وما هلت سنة ١٢٨٩ هجرية  
( ١٨٧٢ ميلادية ) حتى استنزف ثروته ، وأثقل بالديون وكاد  
البيت يتزعزع ، فرأى الخديو إسماعيل من اللازم أن يقيم أود  
ذلك البيت المشهور بمرزه وجاهه فقال لشريف باشا ونائب  
باشا : « إن ما سأسئله لهذا البيت واجب على ذمتنا ، فإن  
جدهم خدم جدي خدمات جليلة »

ثم طلب استدعاء إبراهيم وعبد السلام ، فلما مثلا بين  
يديه قال : من منكما الأكبر ؟ فقال إبراهيم : عبدكم  
يا مولاي . فسأله : كيف تسير أعمالكما التجارية بعد موت  
أيكما ؟ فقال إبراهيم : إن علمها عند عبد السلام ( وقد  
ذكرنا من قبل أنه هو الذي مارس التجارة وأدارها ) لأنني  
انقطعت للعلم والأدب . فالتفت الخديو إلى عبد السلام ، فتقدم  
وبسط الحالة التجارية والمالية . وهنا تناول الخديو ورقة وخط  
فيها بيده الكريمة سطرين وناولها إبراهيم ليسلمها لرئيس  
الديوان

وبعد أن قام الأخوان بواجب الشكر ذهبوا تَوّاً إلى حيث  
أمرأ وهما لا يلمان ما خبأته لهما الأقدار !

وكم كانت دهشتهم عند ما علما أن بالورقة أمراً كريماً  
بتعيين إبراهيم عضواً في مجلس الاستئناف براتب شهري قدره  
أربعمون جنيهاً ، وبصرف أربعة آلاف جنيهه لعبد السلام  
ليسد ما عليهما من ديون ، وليتمكن من إقامة ما عوج من  
شئون التجارة ، وبالإعانة على كل منهما برتبة بك من  
الدرجة الثانية

ولم يكتف إسماعيل باشا بكل هذا ، بل أبى عليه كرمه إلا أن  
يصدر أوامره إلى جميع من في قصوره من النساء بأن يمدن

عن لبس الأنسجة الأوربية إلى الأنسجة المصرية من صنع المويلحي ، وألا يدخل تشريفات السيدات سيدة مرندية غير هذه المنسوجات ، كما أمر بصنع كمية كبيرة منها لإرسالها إلى ممرض فينا في تلك الأيام

وما زال المترجم له في وظيفته بمجلس الاستئناف حتى آلت رياسته إلى المرحوم « حيدر باشا يكن » فوقع بينهما شقاق انتهى باستقالة « إبراهيم بك »

ولكن عناية الخديو إسماعيل ما زالت ترعاه ، فأمر بإعطائه مصلحة تمغة « المشغولات والمنسوجات » على سبيل الالتزام ( الاحتكار ) على أن يؤدي للحكومة جُعلاً

ولما سقطت وزارة « نوبار باشا » سنة ١٢٩٦ هـ سنة ١٨٧٩ م التي كان فيها عضوان أجنبيان ، وخلفتها وزارة « شريف باشا » المعروفة باسم الوزارة الوطنية ، وهمت بإنشاء اللائحة الوطنية لتأسيس مبادئ الحكومة الدستورية — وقع الاختيار على المترجم له لوضع هذه اللائحة

ولما أن استقرت الوزارة الجديدة طلب المرحوم « داغب باشا » ناظر المالية وقتئذ من الخديو إسماعيل أن يكون إبراهيم بك معه في المالية لا يتوسمه فيه من النجاسة والنباهة وعلو الهمة وسداد الرأي ، فلم يمانع الخديو وسر بهذا الاختيار ، وأصدر الأمر بتعيينه ناظراً للقلم العربي بها . وهنا تجلى نبوغه وظهرت جدارته فأحيلت إليه نظارة قلم « العرضيات » مع ملاحظة ( قلم تركي المالية ) وعين عضواً في مجلس تسديد الديون السائرة

ولما تنازل الخديو عن العرش سنة ١٨٧٩ م كما هو معروف ، وصدرت أوامر السلطان بتفقيه ، طلب الإذن من السلطان بالإقامة في استانبول أو أزمير ، فلم يصادف هذا الطلب قبولا . فلما علم الملك « أومبرتو Umberto » ملك إيطاليا بهذا الرفض ، طيب خاطر صديق والده ، ووضع تحت تصرفه سراي « الفافوريتا La Favorita » بضواحي نابولي

على أن هذا النقي لم ينسه ذكر إبراهيم فبعت يستقدمه إليه . فلبى إبراهيم الأمر ، واستغنى من مناصبه وظل في معية إسماعيل بضع سنوات كان يقوم في أثنائها بوظيفة كاتب يده « سكرتيره العربي » يكتب عنه الرسائل إلى الملوك والأمراء ، كما كان يقوم

بالتدريس لنبطه سمو البرنس أحمد فؤاد « المغفور له صاحب الجلالة فؤاد الأول » وقد أرسل إبراهيم بك كتاباً إلى ابنه المرحوم السيد محمد بك المويلحي بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٨٨٠ يطلب منه الاسراع بإرسال بعض كتب النحو الصغيرة لهذا الغرض

وفي نفس هذه السنة أي سنة ١٨٨٠ م أنشأ جريدة « الاتحاد » بإيطاليا ، وأصدر منها ثلاثة أعداد كانت مقالاتها شديدة اللجة على سياسة الدولة العلية مما جعل السلطان عبد الحميد يطلب من سفارته بإيطاليا إيفاد مندوب من قبلها لدى الخديو إسماعيل ليرجوه أن يأمر « سكرتيره » بالكف عن نشر تلك الجريدة .

وفي أثناء إقامة الأسرة الخديوية بإيطاليا مرضت إحدى الأميرات من زوجات سمو الخديو إسماعيل « بالروماتزم » ، ووصف لها الأطباء بلدة « بورسة » خشية عليها من المكث في الجو الذي هي فيه . فأشكل الأمر على الخديو ، وبث همه إلى « سكرتيره » وطلب منه أن يكتب لجلالة السلطان عبد الحميد رسالة يشرح له فيها حالة المريضة بذلك الأسلوب المتين الساحر فكتب إبراهيم بك رسالته المشهورة عن لسان الخديو إسماعيل التماساً لدخول حرمه الآستانة وأفرغ فيها كل ما أوتي من بيان

ولما ترجمت وعرضت على السلطان عبد الحميد تأثر بها وأرسل برقية إلى سفيره في إيطاليا بدعوة حرم الخديو إسماعيل إلى الآستانة للاستشفاء ببياء « بورسة » المدنية وقد بلغ القاري أن يطلع على هذه الرسالة وهي رسالة طويلة تقتطف منها ما يأتي :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، وخليفة رسول رب العالمين ، أطال الله بقاءه ، وجعلني من كل مكروه فداء . من عبداً اكتنفه حرمان الرضا من ولي نعمته ، ومالك ناصيته ، فداعته شهر ، وليته دهر ، وعبرته نهر ، وكذلك جواب دعائه جارياً مما يقامى من غضب أمير المؤمنين وقد قال الله تعالى حاثاً على العفو : « والكاظمين الفیظ والعافين عن الناس .. » وأمر المؤمنين أولى العالمين في الاقتداء بآي الكتاب العزيز . وإنی أتضرع إلى

والحديث والقرآن والمدل والإحسان ؟ فلا مسأغ يا أمير المؤمنين  
للجواب !

« يا خليفة رسول الله : هذه فرد من أفراد رعيتكم ، وقال  
صلى الله عليه وسلم : « وكل راع مسؤول عن رعيته » فالتبس  
من أعتاب مولانا المظلم أن يصدر أمره العالى بما يوافق شفقتة  
وإرادته وأن يصفح عن عبده . وإنى لممثل لجميع أوامر مولانا  
أمير المؤمنين ، أعدها فرضاً واجباً ، فإن الحياة والله لا تصفو  
لبعد سدتكم وفى التصور أن ولى نعمته منفض عنه  
« وأنا واقف على البعد ألتقى أوامركم بفريضة الامتثال ، وإن لم  
يصادف تضرعى ودعائى قبولاً فإنى أخشى أن هذه المريضة وهى  
فى الاحتضار ، تمد يدها بكتاب الله قائلة : بينى وبين أمير المؤمنين  
هذا الكتاب العزيز فى الدنيا والآخرة . والأمر لله من قبل  
ومن بعد ... ! »

أبراهيم المربلمى

« البنية فى المدد القادم »

## النموذج

### كتاب الأدباء الناشئين

تأليف  
عجل جلال

رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة بالقاهرة

خريج مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الحقوق الملكية

تجد فيه المواقف السرحية والمخلوقات التى تصلح

للقصص والروايات

كما تجد فيه الانفعالات النفسية وفلسفة الضحك ومثيرات

الضحك لمن يريد أن يكون كاتباً فكاهياً

الثن خمسة وعشرون قرشاً

يطلب من المؤلف بشارع الأخشى رقم ٤ بالروضة

أو من أى مكتبة شهيرة

إذا شئت أن تكتب بقلبك فاقرأ النموذج

مقام خلافتكم العظمى ، وسلطنتكم الكبرى متوسلاً بجناب  
ساحب الرسالة صلى الله عليه وسلم أن يلحظ ما أعرضه لدى  
سدتكم الملوكية بيمين الرضا ، ولو أن المذمر إقرار بالذنب للآلت  
الصحائف أعذاراً ، ولعرضت التوبة ليلاً ونهاراً

وهبى يا أمير المؤمنين جئت بكل ذنب . أليس فى سعة عفوكم  
وساحة إحسانكم ما تغفر به الذنوب ! وأمير المؤمنين أعلى نظراً  
أن يؤاخذ بقول وهو إفك الرشاة ، أو يعاقب بكلام وهو بهتان  
السعاة ، من الذين اتخذوا حرفتهم أنهم يحرفون الكلام عن  
مواضعه ، بعد أن أفنيت حياتى لهذا البيت المعمور فى خدم قدمتها ،  
وأوامر أطلتها ، ونواهى امتثلتها ، موالاة جعلتها شرطاً سادساً  
لدينى ومعتقدى ، وإتباعاً لقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا  
الرسول وأولى الأمر منكم » ... إلى أن قال فى آخرها :

« ... وإنى أذكر أمير المؤمنين — فان الله كرى تنفع المؤمنين  
بقوله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » وإن بين  
جلالتكم وبين رعيتكم ، وهذه المريضة فرد من أفرادهم — الرحم  
الدينى — الذى هو أولى بوجود الصلة من رحم النسب ، قال  
تعالى : « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله  
لملكم ترحون » أى واتقوا فى أخوتكم فى الدين برعاية عهودكم  
وحفظ حقوقكم ، فعلما أن الأخوة الدينية تقتضى مزيد الشفقة  
والرحمة ، ولا معنى للرحمة والشفقة إلا أن تنقذ المؤمن من المهالك ،  
وتؤمنه من المخاوف ، وتخلصه من الآفات ، وأن توصل إليه المبرات  
ما استطعت ؛ ولا يكمل عبد من الإيمان حتى يجب لأخيه ما يجب  
لنفسه . وإنى أتوسل إلى الله أن يلحق أمير المؤمنين بنزاهته  
وشفقتة ورحمته وعدله وإيمانه ورعايته ، ما فى يديه من ودائع الله  
التي هى أرواح المسلمين وأعراضهم . وصمته : الاستمرار على  
حرمان هذه المريضة من علاجها الممكن ، فإنها إنما تدخل تحت  
سطوة السلطنة العظمى وقوة الخلافة الكبرى ، فى بلدة صغيرة  
من ممالك الدولة الممائية

« ولو شاهد أمير المؤمنين هذه المريضة المسكينة وهى سائلتى :  
بماذا أجاب الخليفة ؟ أيرضى أمير المؤمنين أن أقول لها : قد أغضى  
عن الإجابة ؟ وهو تصرخ بهتك الحجاب أو الموت — كبرت  
كلمة تخرج من الأفواه ! — فإذا قالت : فأين الدين والإيمان